

المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري

من خلال شهادة مؤرخ معاصر

(ابن حيان القرطبي)



أ. انور محمود زناتي

مدرس مساعد - قسم التاريخ
كلية التربية - جامعة عين شمس
جمهورية مصر العربية

anwar_zanaty@mail.com

■ الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أنور محمود زناتي ، المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري من خلال شهادة مؤرخ معاصر (ابن حيان القرطبي). - دورية كان التاريخية. - العدد الرابع ؛ يونيو ٢٠٠٩. ص ٣٣ - ٤١. (www.historicalkan.co.nr)

The Andalusian Society in The Fourth Century of Hegira
Through The Testimony of a Contemporary Historian
(Ibn Hayyan al-Qurtubi)

ابن حَيَّان^(١) القرطبي في الفترة ما بين (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦ م) ، وهي فترة عامرة بالأحداث السياسية حيث شهدت سيطرة الدولة العامرية ، ثم عصر الفتنة ، وسقوط الخلافة الأموية ، وقيام دول الطوائف ، وتفاقم الخطر النصراني ، وتعاضل دور اليهود ، واندلاع النزاعات العرقية والطائفية^(٢) وجميعها أحداث أثرت بلا شك في خبرته التاريخية وتركت أثراً واضحاً في ثانيا أعماله ؛ حيث رصد وبدقة مرحلة الفتن والاضطرابات المتتالية في الأندلس فصور الوضع العام بأن الرعية "عدموا الراعي العُتوف منذ حَقَب ، فنبذوا السلاح وكلفوا بالترقيح"^(٣) ، ونافسوا في التَّشَبُّ ، وعطَّلوا الجهاد ، وقعدوا فُهو الأَرَائِك مقعد الجبابرة^(٤) ، وتولى الأمر "جماعة من الأغمار ، كانوا عصابةً يعل بها الفتاء"^(٥) ، ويذهب بها العُجَبُ"^(٦) .

وكان الوضع في الأندلس في تلك الفترة قد تغير تغيراً جذرياً ؛ فبعدما كانت الخلافة تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية ، جاء الحاجب^(٧) المنصور ابن أبي عامر (٣٧٠-٣٩٢ هـ / ٩٨٠ - ١٠٠١ م)^(٨) ، وأبناؤه من بعده^(٩) فانتزعوا منها السلطة الزمنية^(١٠) ، وكانت وفاة عبد الملك (المُظَفَّر)^(١١) ابن المنصور العامري فاتحة لفترة مضطربة من تاريخ الأندلس^(١٢) بدأت بعبد الرحمن (شنجول)^(١٣) الذي "ساء تصرفه وأنفق الأموال في غير وجهها ، ونُسِب إليه أباطيل القول والفعل ، واستعان بالعسكر للتححر من نفو العامة"^(١٤) ، وانتهى الأمر بقتله^(١٥) ؛ ففتح على الأندلس باباً لم يُسد إلا بانهيار الدولة كلها ، وكان ذلك إيذاناً ببداية نهاية دولة الإسلام في الأندلس .

ويبي الدكتور محمود إسماعيل أن تلك الأزمة "جديرة بأن تشحذ العقول الذكية ، وتنتج مفكرين مخلصين يصطبغ تفكيرهم بالمراة ويحاولون البحث عن علة ذلك الداء الذي أوتى منه بلدهم ومحاولة تكوين مشروع سياسي اقتصادي اجتماعي"^(١٦) ، ومن هنا ظهر هذا الجيل من أبناء قُرُطْبَة من أمثال ابن حَيَّان وابن حَزْم ، وابن شَهِيد^(١٧) ممن حاول كل منهم في ميدان علمه تقصى الحقيقة والبحث عن علاج لمحنة بلدهم^(١٨) ، ولذا نلمح في كتابات ابن حَيَّان التاريخية شيوع روح النقد لديه ؛ فنراه يعبر عن رأيه وبوضوح ؛ ففي أيام دولة الخليفة "سليمان المستعين"^(١٩) ، وبداية "الفتنة البربرية" يذكر أنها كانت: "شِدَاداً نَكِدَات صَعَاباً مَشْهُومَات ، كَرِهَات المبدأ والفتاحة ، قَبِيحَة المُنْتَهَى والخاتمة ..."^(٢٠) .

ويشير ابن حَيَّان في نصوصه إلى النهب الذي حدث بقُرُطْبَة ، واجتياح التدمير بلا حساب أحياء قُرُطْبَة وهو ما كان له أبلغ الأثر في تكوين فكره السياسي ، وانعكس ذلك على كتاباته التي اتسمت بالحدة والحزن فقد كان يعتقد بأن الأندلس ينبغي أن تحتل مكان الصدارة في العالم الإسلامي ، وتشيع هذه الروح في كل كتاباته^(٢١) .

وقد زاد من اضطراب الأوضاع في الأندلس - لاسيما قُرُطْبَة - اقتحام البربر^(٢٢) لها^(٢٣) ، ونشر الدمار بها ، ودفع قُرُطْبَة ثمن مقاومتها أنهاراً من الدماء ، وقتل الكثير من أهلها^(٢٤) ، ودخلت البلاد بعدها في سلسلة من الأحداث^(٢٥) واضطربت الأوضاع ، واستمرت النزاعات التي شللت فيها البربر والصقالبة^(٢٦) وأهل قُرُطْبَة أنفسهم ، الأمر الذي جعل ابن حَيَّان يكن للبربر كراهية شديدة تشيع على ظاهر صفحات تاريخه ، فهو يندد بقسوتهم وحقدهم الدفين على الدولة الأندلسية ، ور غبتهم في حق بناء الحضارة الأندلسية منذ أول لحظة يتيها لهم فيها ذلك^(٢٧) وقد تتبع ابن حَيَّان تلك الأحداث وفي تفصيل دقيق .

وانتهت هذه المرحلة في سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، حين أجمع أهل قُرُطْبَة برئاسة الوزير أبو الحَزْم بن جَهْوَر على رد الأمر إلى بني أُمَيَّة^(٢٨) ، واتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر^(٢٩) ، وتلقب بالمستظهر^(٣٠) . وبعد ذلك خرج عليه ، محمد بن عبد الملك (المُسْتَكْفِي) سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، ويذكر ابن حَيَّان عن الخليفة المستكفي قوله : "ولم يكن هذا المستكفي من هذا الأمر في وَرْد ولا صَدْر ، وإنما أرسله الله تعالى على أهل قُرُطْبَة محنة وبلية"^(٣١) . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على متابعة ابن حَيَّان للأحداث ورصدها بصورة شبه يومية وبطريقة ناقدة .

ونتيجة لتلك الأحداث تقلصت بالضرورة قوة السلطنة في الداخل^(٣٢) ، وهو ما انعكس أيضاً على فكر ابن حَيَّان ؛ فحاول مثل غيره من المؤرخين النابهين من أمثال ابن حَزْم أن يعمل على تحقيق وحدة الأندلس وتقوية سلطة الخلافة من جديد^(٣٣) ؛ فنراه يعتقد "بالجماعة" أو وحدة الأندلس ؛ ولذا كان يستخدم كلمة الجماعة مراراً وتكراراً فيقول : "سلطان الجماعة" و "إمام الجماعة" و "أمير الجماعة"^(٣٤) .

وبينما كان البناء السياسي للأندلس يتصدع شيئاً فشيئاً أثناء فترة الصراع على الخلافة بين من ادعاهما من أفراد البيت الأموي ومن أعقبوهم من بني حَمُود^(٣٥) ، انهار البناء السياسي جملة ، وضاعت الوحدة ، وتفرق أمر الجماعة^(٣٦) ، وفي تلك الأثناء اجتمع شيوخ قُرُطْبَة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جَهْوَر واتفقوا على خلع المُعْتَد بالله - آخر خلفاء بني أُمَيَّة - وإبطال رسم الخلافة جملة^(٣٧) ، ونودي في الأسواق والأربطى ؛ ألا يبقى بقُرُطْبَة أحد من بني أُمَيَّة ، وألا يكتفهم أحد من أهل المدينة ، وانتهى بذلك أمر بني أُمَيَّة في الأندلس وزالت خلافتهم وانقطعت الدعوة لهم^(٣٨) ، وأثرت تلك الواقعة تأثيراً بالغاً في فكر ابن حَيَّان ، وجعلته يتابع مصير دويلات الطوائف ، ويرصد العديد من الوقائع ، وركز على انفراط وحدة الأندلس وتفرق ملكها إلى دويلات طائفية^(٣٩) ، واقتسامهم ألقاب الخلافة ؛ فوصفهم ابن حَيَّان بأنهم : "أمراء الفرقة الهمل"^(٤٠) الذين هم ما بين فشل وُكُل " (٤١) .

أما في قُرُطْبَة فقد اجتمع كبار أهلها بعد إلغاء الخلافة ، وأسندوا الأمر إلى ابن جَهْوَر ، وكان مشهوراً عندهم بجدارته وكفاءته لتقلد هذا المنصب^(٤٢) ، وابتكر لأهل قُرُطْبَة نظاماً جديداً للحكم قائماً على الشورى ، ورأى ابن حَيَّان أنه لم يستبد بالسلطة كما استبد غيره من ملوك الطوائف ، وإنما كون مجلساً للحكم من شيوخ أهل قُرُطْبَة وانتخب أميناً لهذا المجلس ، وكان لا يصرف أمراً إلا بعد الرجوع إلى جماعة الشيوخ هؤلاء^(٤٣) ، وكان من جراء ذلك أن اختار ابن حَيَّان المقام في قُرُطْبَة في ظل الجَهَاوَرَة لأنهم في نظره خير بيئة يستطيع فيها أن يسجل أحداث عصره ، وفيها استطاع أن يعبر عن سلبيات المجتمع الأندلسي خاصة بعد تمزق الأندلس على هذا النحو ، وقد انتقد ملوك الطوائف في عصره خاصة في تصبغ بعضهم لبعض ، واستعانتهم بالنصارى لتنفيذ مخططاتهم .

وبصفة عامة -وكما يرى الدكتور محمود إسماعيل- أن "الانتكاسات التاريخية في حياة الشعوب ليست شراً مستطيراً على طول الخط ؛ بل قد تسفر عن إيجابيات بصدد الفكر وتطوره ، إذ غالباً ما تقضي إلى استنفار النخبة المفكرة لاستقراء أسباب وعلل تلك الانتكاسات"^(٤٤) .



الجاهلية ، واتخذوا الحصون والمعازل المنيعة فارتقوا إليها وأذلوا البسائط" ^(٦٢) .

وقد كانت هناك طبقة الأمراء والحكام وذوو الثراء وأصحاب الوظائف الكبرى ، وكانوا يمتلكون ثروات طائلة تمثلت في الضياع الواسعة ، والقصور الخاصة ، وتقننوا في صنوف من البذخ ^(٦٣) ، والناظر إلى روايات ابن حَيَّان يجد أن الغالب عليها تصويره مثالب الطبقة الحاكمة ، ولم يغيب عنه تصرفات الحكام وشغفهم بالبناء إلى حد الإسراف والبذخ ويتضح هذا فيما نقله عن معاوية بن هشام . عند ذكره لقيام الأمير محمد بتحسين قصر الخلافة فيقول : أنه بلغ من تحسُّنه إياه مبلغاً " تَوَقَّثَ به الكمال ، واكتسبت الجمال ، فشفيت به أدواء النفوس ، وضرب بحسنها المثل " ^(٦٤) .

كما رصد ابن حَيَّان انحراف الحُجَّاب والوزراء ، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعاشية ، وقد أشار إلى ما أصاب أهل الأندلس من نفاق وقلة وفاء وميل مع من يبقى في المنصب ، كما لم يغيب عنه أن يصور بعض تجاوزات الولاة وظلمهم كما صور دور الجوّاري في بلاط حكام الأندلس ، وانتقد ما كان يقمن به من دسائس وهذه الرؤية النقدية ما كانت لتحدث لولا ظروف عصره التي دفعته إلى ذكر ما وصل إليه حال الأندلس من انقسام وتفكك ^(٦٥) .

ونراه لا يغفل الإشارة إلى حال " مشيخة الشورى " أو آخر عهد الخلافة الأموية بالأندلس ، ويتضح هذا عند حديثه عن الخليفة هشام المُعْتَد الذي يقول عنه : " وزاد في رزق مشيخة الشورى من مال العين ، ففرض لكل واحد خمسة عشر ديناراً مشاهرة ، فقبلوا ذلك على خبث أصله ، وتساهلوا في أكل ما لم يستطبه فقيه قبلهم " ^(٦٦) .

وكانت هناك طبقة أخرى تعاني ألوان العسف والتنكيل ، ويطلق عليهم لقب العوام وهم الفئة المهمشة في التاريخ ^(٦٧) ولا يأتي ذكرهم في الغالب إلا عند التأريخ للكوارث كالمجاعات والأوبئة ، أو من خلال ذكر حركات المعارضة التي جري تهميشها بالمثل ودمغها بأبشع التهم والنعوت ^(٦٨) . وتتكون هذه الطبقة من الفلاحين في الريف والحرفيين والعمال في المدين ^(٦٩) وأغلبها من البربر أو المولدين ^(٧٠) ، أو الموالي ^(٧١) ، وكان على هذه الطبقة أن تتحمل أعباء ضرائب باهظة كانت تُفرض عليها وكانت تقوم بينهم وبين الدولة هوة سحيقة من سوء الظن وعدم الثقة ^(٧٢) . وكان لهذا التدني أثره على ابن حَيَّان في معارضته لهذه المظاهر في كتبه وتنديده بفاعليها ^(٧٣) ، ويقول واصفاً أحد هؤلاء المغالين في جمع الضرائب : " ونعي إلينا فلان ، وكان فظاً قاسياً ظنيناً جشعاً جباراً مستكبراً قليل الرحمة نزر الإسعاف زاهداً في اصطناع المعروف ، أحد الجبابرة القاسطين على الرعية ، المجترين على رد أحكام الشريعة وكان مهلكه — زعموا — من طاعونة طلعت عليه ببعض أطرافه ، فتجاسر على قطعها بفرط جهالته ، فمات معذباً في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد " ^(٧٤) .

تعددت مجالات المعرفة الاجتماعية والثقافية التي طرقها ابن حَيَّان عكست لنا ألواناً من الحياة الأندلسية الاجتماعية والثقافية ، ويعتبر تاريخه الكبير أدق وثيقة مفصلة للحياة الثقافية والفكرية للأندلس ؛ فنراه يرصد العديد من الظواهر الاجتماعية عندما يصور شرائح المجتمع بها فيها من صور الوشاية ، والذم ، والمكائد ، وفساد القضاة " وقد انطبقت أرض الأندلس نفاقاً واستعرت خلافاً ذلك بإغفال من كان قبله لحسم من كان ينجم من قرن النفاق حتى تفاقم الأمر بعد

وعلى الصعيد الاقتصادي وبعد انهيار وسقوط الخلافة حدثت الانتكاسة وعم الكساد الاقتصادي ^(٧٥) وتدهور العمران ، وحفل العصر بالآزمات إلى حد المجاعة وأفل نجم قُرْطُبَة عمرانياً وبشرياً ، وصور ابن حَيَّان الوضع قائلاً : "... وطمست أعلام قصر الزهراء ^(٧٦) فطوى بخرابها بساط الدنيا وتغير حسننها ، إذ كانت جنة الأرض ، فعدا عليها قبل تمام المائة من كان أضعف قوة من فارة المسك ، وأوهن بنية من بعوضة النمرود ، والله يسלט جنوده على من يشاء ، له العزة والجبروت " ^(٧٧) .

وتحولت المدن التجارية المزدهرة إلى قلاع وحصون عسكرية ^(٧٨) الأمر الذي لقي تدبير ابن حَيَّان ، ويشيع ذلك في صفحات كتابه " المتين " ومثال على ذلك ما أشار إليه في فطنة بالغة عن سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة الوضع المتردي في بمدينة بَطْلَيْوُس ^(٧٩) نتيجة النزاع بين المعتضد بن عبَّاد والأفطس ؛ فقال : " بقيت بَطْلَيْوُس مدةً خالية الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عبَّاد هذه بفتيان أغمارٍ إلا الشيوخ والكهول الذين أصيبوا يومئذ . فاستدلت بذلك على فشو المصيبة ^(٨٠) " ؛ فتوقع برؤية ثاقبة عما سيحل بعد ذلك من كوارث اقتصادية .

وانتشرت في الأندلس " الكُور المجندة " ^(٨١) نتيجة لكثرة الحروب الأهلية ، فنزل جند دمشق في كورة البيرة ^(٨٢) ، وجند حَمَص في كورة إشبيلية ^(٨٣) وجند الأردن في كورة مالطة ، وجند قَسْرِين في كورة باجة ^(٨٤) وبعضهم بكورة تَدْمِير ^(٨٥) ، فهذه منازل العرب الشَّاميين ، وبقي العرب والبربر والبلديون شركاءهم ، كما تعاضم " إقطاع التجار " نتيجة شرائهم بعض إقطاعات الخلفاء والولاة ^(٨٦) . وفي ظل هذا الحكم اضطرب الوضع الاقتصادي ، واشتد الغلاء وانتشرت الأوبئة ، وعمت الكوارث ، وانعدم الاستقرار والأمن ^(٨٧) .

ولجأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم إلى إقبال كاهل رعاياهم بالضرائب ^(٨٨) ؛ فانعكس ذلك الوضع على كتابات ابن حَيَّان فوصف ذلك الوضع المتردي في مرارة واضحة بقوله " فما أقول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع غلذيتها ؟ هل هي إلا مشفية على بوارها واستئصالها ؟ ولقد طوى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء ...

أمور لو تدبرها حكيم إذن لنهى وهب ما استطاع ^(٨٩)

وعلى الصعيد الاجتماعي شهد المجتمع الأندلسي في ظل الخلافة والحجاجة مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة ليحدث نوع من التجانس لم تشهده الأندلس من قبل ؛ إلا أن السخائم العرقية والإقليمية عادت مرة أخرى لتؤثر سلباً في هذا التجانس ، ولتمزق وحدة الأندلس من جديد ^(٩٠) بظهور النزعة العنصرية ؛ ولذا لم يغيب عن ابن حَيَّان أيضاً أن يعبر عن تلك النزعة في الأندلس في تلك الفترة وذلك من خلال حديثه عن اجتماع خازني بيت المال في عهد الأمير محمد ، وهما " عبد الله بن عثمان بن بسيل ، ومحمد بن وليد بن غانم " واستدعى الأمر أن يكتب ابن غانم كتاباً قدم نفسه فيه ، فما كان من ابن بسيل إلا أن قام له : " والله لا أطبع كتاباً تتقدمني أنت فيه ، وأنا شامي وأنت بلدي " ^(٩١) .

ويشير أيضاً إلى الفتنة بين اليمية والمضرية فقال : " وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعائها بالمعصية بين اليمانية والمضرية أن أطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلوا الحرمات وتخلقوا بأخلاق



وكان المدعوون إلى هذه الاحتفالات التي استمرت أياماً أشتاتا من الناس من صفوة وعامة ، وقد لقي الجميع من الاحتفاء بهم والتكريم لدوايتهم ما يمكن أن يشابه ترتيب إدارات الهراسم والتشريفات بالقصور الملكية ووصف ابن حيان طائفة القضاة على المائدة في غرفة أسرف وفي وصفها ، فإذا انتهوا من الطعام يكمل الجانب التالي من رحلة الدعوة على هذا النحو :

" ولما فرغت تلك الطائفة جئ بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرغوا أيضاً بوظاء الوشي الرقوم بالذهب ، وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة ثم نقلوا إلى مجلس التطيب ، أفخم تلك المجالس ، وهو المجلس المطل على النهر ، العالي البناء ، السامي السناء ، فشرع في تطيبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي ، المشوبة بقطع العنبر الفستقي ، بعد أن نديت أعراض ثيابهم بشاييب الماء الورد الجوري ، يصب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجود ، وفياشات البلور المحفورة".

والذي يعنيننا من هذا النص أمور كثيرة ، من أهمها الإسراف ، والذي يتابع القصة بأكملها حسبما رواها بتفصيلاتها ومجالس القصف فيها وإنشاد الشعر في مناسبتها وما قد خلعه الأمير عليهم برغم تدني أشعارهم ، كل ذلك كان هدفاً من أهداف أبي حيان في تعرية ملوك الطوائف الذين يقتلون المال والبشر ، ويقاثل بعضهم بعضاً والعدو متربص بهم ، متحفز على أبوابهم.

وكشف ابن حيان عن دور العنصر النسائي في بلاد الأندلس ، مثلما صور ما كانت تقوم به جارية الخليفة الناصر "مرجان" ، من حيل ضد السيدة فاطمة القرشية بنت أخي جده الهنذر بن محمد الأمير ، وكان الناصر يقول لجاريته مرجان هذه : " فاقناديني إلى قصرك فإني طوع يمينك وحبيس هواك ، وكان ذلك على إثر الحيلة التي دبرتها لصرفه عن ابنة عمه فاطمة القرشية ، ويقول ابن حيان عن هذه الجارية معتمداً في ذلك على ما قاله القبشي : فتقدمت لديه جميع نسوانه حتى كانت كرائمه وحظاياه لا يصلن إلى مطالبهن ورغباتهن من الناصر لدين الله إلا بشفاعه مرجان لهن ، وتوسلن بها لديه للطف منزلتها وغلبيتها على قلبه".

وصور لنا مكانة الجوازي في المجتمع الأندلسي فيورد لنا قصة الجارية مرجان التي كانت من أحب الجوازي إلى قلب الخليفة الناصر وأنجبت له ابنه الحكم ، فكانت أثيرة الخليفة لا يسلو بدون رؤيتها ولا يكتم عليها سراً ، وإذا مرض حُمِلَ إلى بيتها.

وقد أمدنا ابن حيان بسيل من النصوص ، على جانب كبير من الأهمية وتكشف النقاب عن الوضعية الاجتماعية لعدد كبير من فئات المجتمع الأندلسي ومنهم على سبيل المثال : الفقهاء حيث أطاق اللثام عن النفوذ الاجتماعي — والسياسي بالطبع — للفقهاء ، وكيف كان الأمراء والخلفاء يخشون تقلب الفقهاء عليهم مثلما أورد في ما نقله من كتاب الاحتفال ما يشير إلى أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم كان يكره تألب الفقهاء عليه ويقلق منهم ويسميه سلسلة السوء .

وابن حيان لا يغفل أيضاً ذكر الآثار المترتبة على النواحي السياسية من إصابة المؤيدين وكساد الناحية التعليمية للصبيان والمؤيدين ، هذا فضلاً عما تكشف عنه روايته من قتل المغنيين والطنبوريين ، وهذا يشير إلى ألوان البذخ واللهو في الأندلس في "فترة الفتنة" .

واستطاعت روايات ابن حيان التاريخية أن تكشف عن ازدواجية الشخصية الأندلسية ، وذلك عند حديثه عن "عبد الله بن عاصم"

تطاوله ، وتفاوت الشيء بعد قرب تداركه واستعجل شر عمر بن حفصون جرثومة النفاق وانتزى أكثر بلاد الأندلس اقتترانه .

ومن الأقوال التي ذكرها ابن حيان ، والدالة على وجود شهادات الزور في الأندلس ، حديثه عن "محمد بن غالب" من أهل إستجة ، كان قد طلب من الأمير عبد الله بناء حصن بقرية ، شنت طرس ، وهدفه من ذلك حماية الطريق ، ومنع المفسدين وقطاع الطرق من إلحاق الأذى بالمسلمين ، وعندما تم بناء الحصن حسده ، بنو خلدون وبنو الحجاج "وقامت الحرب بينهما ، وادعى بنو حجاج على إثر هذه الحرب أن محمد بن غالب أعتال رجلاً من قرابتهم واستدعوا عليه الشهادات المزورة".

كما عكس الصراع الذي كان يدور بين الفقهاء والخليفة وكيف أن الخليفة كان يكره أن يكون القاضي قوياً ، وهو ما صورته تحت عنوان "نوادير من أخبار قضاة الأمير عبد الرحمن". ومن هذه النوادر أيضاً نستشف النفوذ القوي الذي كان يتمتع به الفقهاء في الدولة ، والدليل على ذلك أن الأمير عبد الرحمن قلما يولي قاضياً إلا عن مشورة يَحْيَى بن يَحْيَى اللَّيْثِي وفي ذلك يقول ابن حَيَّان : "وغلِبَ يَحْيَى بن يَحْيَى جميعهم على رأي الأمير عبد الرحمن ، وألوى بإيثاره ، فصار يلتزم من إعظامه وتكريمه وتنفيذ أموره ما يلتزم الوالد لأبيه ، فلا يستقضي قاضياً ، ولا يعقد عقداً ، ولا يمضي في الديانة أمراً ، إلا عن رأيه وبعد مشورته".

كما صور لنا بخل الأمير عبد الله بن محمد ، وشيوع حوادث الرشوة بالغصب في عهده ، كما صور بعض معائب عبد الرحمن الناصر وتبرز استهتاره باللذات وتغليظ العقوبات ، وتهوين الدماء ، والعبث في الرعية. ونرى ذلك أيضاً عندما يتحدث عن النساء وشغف الأمير عبد الرحمن بهن فيقول : "كان الأمير عبد الرحمن مُستهتراً بالنساء ، شديد الميل إليهن ، والإعجاب بهن ، والبذل لهن ، والاستكثار منهن ، والهوى فيهن".

كما سجل مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات وكيف كان الشعراء والخطباء في هذه الاحتفالات "تتناغى فيما ترتجل من خطبها وتشد من أشعارها كتكر وتجيد"، أما الاحتفال الرسمي من قبل الخلفاء بالأعياد فقد أطنب في وصفها ابن حيان.

ولم يغب عنه أن يعبر عن مظاهر البذخ التي كانت تتسم بها حفلات استقبال الحكام الأندلسيين لمن يفد عليهم ، ولذلك يقول عن يوم استقبال الخليفة الحكم المستنصر لجعفر بن علي ومن معه إنه : "أحد الأيام العقم بقرطبة في اكتمال حسنة وجلالة قدره ، خلد حديثه زمناً في أهلها ، قاضياً من عجب الجلالة ، وكل شيئاً فإلى انقضاء إلا إله الأرض والسماء تعالى جده.

ومن الصور الاجتماعية التي اهتم ابن حيان بتسجيلها في تاريخه حفلات المجون والتبذير للأمراء والخلفاء والوزراء ؛ منها على سبيل المثال حادثة احتفال المأمون بن ذي النون بإعذار حفيده يحيى ، تلك الحادثة التي احتلت عدداً غير قليل من الصفحات ، يقول في الإعداد لها:

"وأمر المأمون بالاستكثار من الطهارة والاتقاء للقدور ، والإتراع للجفان ، والصلة لأيام الطعام ، والمشكلة بين مقادير الأخبار والآدام ، والإغراب في صنعة ألوانها ، مع شباب أبريقها بالطيوب الزكية ، والقران فيها بين الأضداد المخالفة ما بين حار وبارد ، وحلو وحامض ، والمهائلة بين رائق أشخاصها ، وبين ما تودع فيها من نفائس صحافها".



وتعرض أيضاً لذكر "الذكاوات والصدقات" التي يتكلف الجباة بتحصيلها من الفلاحين وحتى تتمكن الخلافة من تغطية نفقات الحملات الحربية استحدثت "مغرم الحشد" الذي عم الجميع باستثناء المطوعة. كما تعرض ابن حيان لرصد المجاعات والأوبئة؛ بل ويفسر سببها بدقة.

أما الحالة الثقافية فالعجيب أنه وعلى النقيض من الوضع السياسي؛ لم تكن الثقافة الأندلسية يوماً أشد إشعاعاً، وأقوى خصوصية كما كانت عليه في تلك الفترة ففي الغالب تكون الأئمة "تحديداً" يوجب "الاستجابة" — حسب مفهوم "أرنولد توينبي" وغالباً ما تناط النخبة المفكرة بريادة الاستجابة على الصعيد المعرفي كما يرى الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل^(٧٥).

ويجمع الدارسون على ازدهار الحركة الثقافية في عصر ملوك الطوائف وذلك راجع إلى تداعيات وظلال العصر السابق، بما يؤكد أن الظواهر الفكرية في تطورها وفي أفولها تحتاج إلى فترة زمنية طويلة^(٧٦). هذا وقد مجد الأندلسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأندلسي. وقد تعصب ابن حيان للمذهب السني المالكي — وهو المذهب الرسمي للدولة — الذي دخل إلى الأندلس في حياة الإمام مالك نفسه، وذلك بفضل من درسوا عليه من تلاميذه الأندلسيين ونقلوا كتابه "الموطأ"، وهم على التوالي الغازي بن قيس (ت ٨١٥/١٩٩ م)، وزباد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون، (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)، وهو أول من أدخل مذهبه في الأندلس، ويحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م)، وساهم غيره من الفقهاء في انتشار المذهب المالكي أيضاً مثل عيسى بن دينار الغافقي الطليطلي (ت ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)، ويكمن أثر المذهب المالكي في الأندلس بكونه أهم المحاور التي دارت حولها المؤلفات الأندلسية المبكرة، شرحاً وتوضيحاً لكتاب الموطأ، ودراسة لرجال وأسائده، ودفاعاً وانتصاراً له، وتأليفاً حول المذهب بشكل عام وكان ابن حيان من أشد المتحمسين لذلك المذهب، وانعكس ذلك بوضوح على كتاباته ويظهر ذلك في هجومه على أتباع المذاهب الأخرى أصحاب "الطائفة الخبيثة" "الهارقة" مثل حركة ابن مسرة "الظنين المرتاب" و"المراثي بالعبادة" الرابض بالفتنة "القادح في السنة". واعتبر المعز لدين الله الفاطمي "صاحب إفريقية المهد في الضلالة"، ونظر إلى الفواطم عموماً باعتبارهم "أهل الضلالة". كما تحامل على أمراء المغرب المواليين للفاطميين، فعت الحسن بن قنون "بالمارق" ولعن صاحب نكور "قبحه الله" ووصف النكوريين "الفاسقين".

كما تناول مشكلة الإمامة والخلافة؛ فكان يرى ضرورة أن يكون "خليفة المسلمين من قرى، وحيث أن الأمم وبين من قرى، وكانوا بالفعل ممثلين في شورى الإمامة، فإن الخلافة حق من حقوقهم، بل يزيد فيجعل خلفاء بني أمية امتداداً طبيعياً لخلافة الراشدين فأقاموا رسوم السنة، وأحرزوا وظائف الديانة".

وكان يرى ثلاث مهمات كبرى للخليفة: عسكرية وإدارية ومدنية؛ ولذا نراه يصف حال أهل طليطلة وما نالهم من الذل على أيدي العدو الإفرنجي بعد استقرار دول ملوك الطوائف أنهم "عدمو الراعي العنوف"، ويقول في معرض مدحه لمسلك أبي الحزم ابن جهور في إدارة الأمور بقرطبة إن أهل قرطبة "ولو من الجماعة أمينها المأمون عليها"؛ أما اللقب الذي يطلقه على الناصر "مجمع الفرقة"؛ فالقيام بجهد

صاحب الشرطة بقرطبة، على عهد الأمير محمد، الذي مر به، يوماً فتي حسن الشارة يترنح سكرأ، فأمر بأخذه، فوجدت به رائحة الشرب، فأمر بجلده، فلما جرد للجلد أقبل على ابن عاصم، فقال له: ناشدتك الله، من الذي يقول:

إذا غاب شرب الخمر في الدهر عائب فلا ذاقها من كان يوماً يعيها

فقال له ابن عاصم: أنا، وأستغفر الله منه، فقال له الفتى: فلا تستحيه عن وجهه حين تغرى بالشرب وتحض عليه، ثم تكشف عنه وتعاقب فيه؟ فأفحمه ودرأ الحد عنه.

وما أكثر ما ترد في ثنايا تاريخ ابن حيان ملاحظات وتعليقات نفذ بها إلى الكشف عن العيوب الدفينة في المجتمع الأندلسي، هذه العيوب التي أدت شيئاً فشيئاً إلى تحللها وتصدها، وكأنه السرطان الخفي يستشري في باطن جسد ظاهره الصحة والقوة. وهى عيوب بدأت منذ أيام الحكم المستنصر، ثم استفحل داؤها على عهد الدولة العامرية. غير أن الأمجاد العسكرية والقوة الظاهرية كانت تلقى عليها حجاباً كثيفاً سترها عن الأنظار. لقد كانت الفتنة تحتم تحت هذه القشرة الظاهرة من القوة والعظمة، فلما تصدعت واجهة الدولة بعد وفاة المظفر بن المنصور بن أبي عامر إذا بهذا البنيان الشامخ ينهار في لحظات، وإذا ينير أن الفتنة المبيرة تندلع معلنة بداية نهاية الإسلام في الأندلس.

كما رصد سوء الأحوال الاقتصادية المترتبة على المنازعات والحروب خاصة بين ملوك الطوائف؛ فنراه يصف ما حدث بمدينة بطليوس نتيجة النزاع بين المعتضد القبادي والأقطس بأنها "مصيبة"، حيث "خلت الدكاكين والأسواق". ويصف القسوة التي استخدمت في جمع الضرائب غير الشرعية بمدينة شاطبة بكل أنواع العنف حتى تساقطت الرعية ولم تصمد في وجه هذا الظلم. ومن هنا يتضح مدى اهتمام ابن حيان برصد الجوانب الاقتصادية دون الاقتصاد على الجانب السياسي فقط.

كما أرح للوضعية الجبائية والمالية مثل ما أرحه حول الوضعية الجبائية والمالية للدولة العامرية؛ فيقول ابن الخطيب في أعمال الأعلام: "ذكر أبو مروان خلف رحمه الله في كتابه... المسمى بأخبار الدولة العامرية... فقال: "كان مبلغ جباية آخر أيام المنصور أربعة آلاف دينار سوى رسوم الموارث بقرطبة وكور الأندلس كانت تجري على الأمانة وسوى مال السبي والمغانم على اتساعه في هذه وسوى ما يتصل به السلطان من المصادرات ومثل ذلك مما لا يرجع إلى قانون، قال: وكانوا يعتدون بها أربع بيوت تأخذ النفقات السلطانية منها على المشاهدة بالزيادة والنقصان ما بين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفاً إلى أن يدخل شهر يونيه العجمي فيتضاعف فيه الإنفاق من أجل الاستعداد لغزو الصائفة فينتهي منه إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر منها وما فضل من المال بعد جميع النفقات أحرزه السلطان في بيت ماله مع غير ذلك من ضروب استفاداته، كما تعرض للحديث عن أهل البيوتات الذين اتخذوا الضياع الواسعة منهم بني حجاج الذين امتلكوا في" باديتهم بالسند المنسوب إليهم على خمسة عشر ميلاً من الحاضرة"، وكذلك "الإلهانيين والمعافرين وبني خلدون الإشبيليين اللذين اكتسبوا الضياع سواء بالبادية أو الحاضرة"، ويكشف ابن حيان النقاب عن قرى بأكملها تملكها "كريب بن عثمان" بكورة مورو ومثله أيضاً كان سليمان بن محمد الشذوني.



وهو فيما روى ونقح محسن مُجود وكان على نصاعة أدبه ، عالماً مُفتناً جزلاً ، متكلماً عريضاً مُندراً ، كبير الغور ظريف الخبر ، خالد الذكر في العصر البائدة .

ونجده يتعرض لذكر مجالس الغناء ، و "خير زُرَّاب" ، و "المطربين ببلد الأندلس" ، ويروي ذكر جلساء الأمير عبد الرحمن بن الحكم وسُماره الدانين إليه من شعراء أهل زمانه وأدبائهم ، ونبد من نوادرهم وأشعارهم مما خالطه من أخبارهم . ويسرد أخبار الشعراء ، مع الأمير عبد الرحمن بن الحكم وبعض ما سقط إلينا من أماديحهم له من ذلك "خير يَحْيَى بن حكم الغزال في إرساله إلى ملك الروم" .

ويشير أيضاً إلى شغف الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعلم الهيئة ، ومطالعه للكتب القديمة ، صاغياً إلى علم التنجيم ، واقفاً على سنن التعديل ملياً ، يسأل علماءه عن الأدلة ، مولعاً بالوقوف على أقوالهم في أحكامه ، مقرباً لحذاق المنجمين في زمانه ، أنساً بهم ، محسناً إليهم ، مستريحاً إلى تعديلهم لأوقات حركاتهم ، وإنذارهم من طريق أفضيتهم بمساعده ومناحسه وكان من مشهور في زمانه ومن قبله عباس بن فرناس ، ذو الأنباء الشنيعة ، وعبد الواحد بن إسحاق الضَّبِّي ، ذو النوادر البديعة ، ومروان بن غزوان ، ومحمد ابن عبد الله ، وعبد الله بن الشهر بن نمير نديم الأمير ، السابق في حلبتهم الزائد في تمام خصاله الأدبية على جماعتهم . فقد كان فيما ينتحلونه من علمهم إماماً لهم ، معدوداً في وجوهم ، يعول الأمير عبد الرحمن عليه في تمييز . غيب ما يطرقه من شؤون ، ويساوره من خطوبه ، فلا يزال يبلو من صدق إصابته ، وصواب رجمه ، ما يطول منه تعجبه ، ويكثر من أجله تسأله ، فله معه ومع من سميناً من الوزير عبد الرحمن بن يَحْيَى الأَصم ، والنعمان بن المنذر وغيرهما من رجالهم ، وما لدى أصحابه وغيرهم في هذا الباب نوادر مستغربة .

كما أشار إلى أن عبد الرحمن الأوسط أول من اتخذ كاتباً خاصاً له وسار الأمراء والخلفاء من بعده على هذا النظام حتى سقوط الخلافة . ويحوي كتاب المقتبس بين دفتيه أيضاً تراجم عديدة لطبقات الفقهاء الأندلسيين منذ فتح الأندلس وحتى عصره معتبداً على مصادر متعددة ، كما رصد لنا ابن حَيَّان انتقال الفتاوى بالأندلس من رأى الأوزاعي ، وأهل الشَّام بالكلية "فحولت إلى رأى مالك وأهل المدينة . وانتشر رأى مالك بِقُرْطُبَة ، وعم بلاد الأندلس" .

ورصد أيضاً مجالس العلم والتعليم بالأندلس ، وأخذ العلم على يد الشيوخ والفقهاء ، وأكد على أن الحكم المستنصر قد أمر ب "تجبيس حوانيت السراجين بسوق قُرْطُبَة على المعلمين الذين قد اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بِقُرْطُبَة" .

وهذا يعني أن الدولة قد تبنت تخصيص مصروفات للمدارس ، والمستعرض لكتاباته يتضح لنا مدى ما وصلت إليه الأندلس من احترام العلماء والفقهاء ورجال الأدب ، وكيف أن الأندلسي كان ينفق ما عنده من مال حتى يتعلم ومتى عُرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان .

وقد اختلفت منزلة الأشخاص باختلاف سماتهم واتجاهاتهم الشخصية ؛ فقد كان منهم طبقة بارزة أسهمت في السياسة العامة للدولة ، وظفرت لذلك بالخطوة عند الأمراء ، وقد سجل ابن حَيَّان كل ذلك في تاريخه وبدقة بالغة .

العدو هو الذي جعله معجبا أشد الإعجاب بالناصر والمستنصر والمنصور العامري وابنه عبد الملك المُظَفَّر ، ويجعل الجهاد مطلباً أساسياً للأمة في مناطق الثغور ، إذا لم يلتقطه الإمام ويدفع به من القوة إلى الفعل فمن شأن ذلك الإمام أن يسقط ، فإذا قام غيره بتولي هذا الدفع ؛ فإن الأمة تلتف حوله ويصبح هو صاحب السلطة الفعلية في البلاد . وما حدث سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م إثر وفاة الحكم المستنصر وتولي ابنه هشام المؤيد الخلافة نظرياً ، خير دليل على ذلك ؛ حيث تولى الأمر المنصور العامري لأنه قام بالجهاد ملبياً لطلب الأمة وهياًه لإمامة المسلمين فأورد عنواناً لذلك وهو : "ذكر دفاع ابن أبي عامر العدو ، وقيامه بالجهاد دون الجماعة وتوصله بذلك إلى تدبير الملك" . كما أدلى بآرائه في حركات المنتزين - الثائرين - في الأندلس والمغرب ، وهى في نظره حركات خارجة عن السنة والجماعة في الأندلس ، فمن هؤلاء المنتزين من كان هدفه "السعى في الأرض بالفساد والاستحلال لغنائم المسلمين ، ومنهم من كان يسعى إلى "قطع السبيل وإشاعة الفساد في الأرض وسفك الدماء" .

ويتحدث ابن حيان عن "سعيد بن سليمان بن جودي" أمير العرب المنتزين بمدينة غرناطة ، ويذكر عنه ما قاله ولده عبد الله فيه من شغفه بالجواري ، وأنه كان : مقدماً لهن على جميع لذاته ، ويهضى في ذكر شغفه بشرائهن وأشعاره فيهن ويبدو في رواية ابن حيان هذه التلازم بين الظروف السياسية وثوارت المنتزين ، والآثار المترتبة على ذلك من حيث التفكك القيمي والأخلاقي الذي أصاب المجتمع في بعض أنباطه .

وقد تعرض لتراجم العلماء وقد قل من تجده متبحراً في علم واحد أو علمين ؛ بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين^(٧٧) ولم يقتصر على العلوم النظرية بل كانت لهم دراسات في علوم عملية^(٧٨) كالفيزياء ، وعلم العقاقير ، والزراعة (علم الفلاحة) والذي أبدعوا فيه وصنفوا التصانيم المشهورة ، مسجلين ما توصلت إليه تجاربهم في النباتات والتربة^(٧٩) .

وهذا التعدد المعرفي لعب دوراً مهماً في إثراء فكر ابن حَيَّان خاصة وأنه كان مكثراً من الاطلاع على تلك الكتب ، وسهلت له تلك النهضة العلمية الاطلاع على تاريخ الممالك النصرانية أيضاً ، مما يرجح أنه كان يعرف عجمية الأندلس وأن "ما أورده ابن حَيَّان من أخبار عن إسبانيا^(٨٠) النصرانية ينم عن معرفته الدقيقة بكل أحوالهما وأنساب حكامها^(٨١) .

وكان لكثرة مطالعته التاريخية أن تجنب الروايات الخرافية والأسطورية ولم يشع ذلك في كتاباته ؛ مما كون وعى تاريخي ناقد لديه وممكنه من أن يصور ما وُجد في البلاط الأندلسي من دسائس وفتن بين الحجاب والوزراء تصويراً نقدياً لا يعتمد على القص فقط .

ومن الناحية الثقافية : قام ابن حَيَّان بالترجمة لمشاهير الأدباء والشعراء وأعلام الفكر ، وأورد الكثير من نظمهم سواء كان نثراً أو شعراً ؛ ثم يقوم بعرض جمل من أخباره مثل ترجمته لعباس بن فرناس الذي "نادم الأمير عبد الرحمن بن الحكم وجالس ، وصديقه مؤمن بن سعيد الشاعر ، وكذلك ترجمته للشاعر يَحْيَى الغزال وقد وصفه وصف الناقد البارع الحصيف فقال :

"..... وكان مقتدراً على الشعر ، سلس الطبع فيه ، يُصرفه في ضروب الشعر بحلاوة لفظ ، وملاحه معنى وغُزَّر مادة . وأكثر شعره محمول على الدعابة والهزل ، فلذلك خرج بعضه بألفاظ عامية مبتذلة



- الملتبس، ترجمة رقم ٢٤٢، المعجب، ص ٧٢، الحلة السيّراء، ج ١، ص ٢٦٨. المقرّي: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٩٦.
- (٩) للمزيد راجع: ابن الأَبَر: الحلة السيّراء، ج ١، تحقيق، حسين مؤنس، ج ١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥ م، ص ٢٦٨-٢٧٧، وابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٢٥٣، وابن الخطيب: أعمال، ص ٨٠ ونفح، ج ١، ص ٤٢٤.
- (١٠) أحمد مختار العبّادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، ص ٨٧.
- (١١) ت ٣٩٩هـ-١٠٠٨ م وقيل أنه توفي على إثر ذبحة صدرية، وقيل نتيجة عملية اغتيال، انظر ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٧.
- (١٢) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج ٢، الهيئة المصرية للكتاب ٢٠٠١، ص ٦٢٢.
- (١٣) يعرف في المراجع العربية بإسم شجنول S anchuelo سانشويو، وهو تصغير للفظ سانشو وهو إسم جده لأمه، أي سانشو الصغير، أنظر حاشية: مختار العبّادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص ٨٧.
- (١٤) محمود إسماعيل: سوسولوجيا الفكر الإسلامي. مكتبة مدبولي، ط ٣، ١٩٨٨، ص ٥٣٦.
- (١٥) قُتل سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨ م.
- (١٦) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٦.
- (١٧) راجع ترجمته في، جذوة المقتبس: ص ١٣٣-١٣٦، ترجمة رقم ٢٣٢، بغية الملتبس: ص ١٩١ ترجمة رقم ٤٤٠، المطمح: ١٦، والمطرب: ١٤٧. واليتيمة: ٣٥٢ ومعجم الأدباء: ٢١٨ وأعتاب الكتاب: ٢٠٣ وابن خلكان: ١١٦:١ والمغرب: ٧٨:١ والخريدة: ٢: ٥٥٥ والوافي: ٧: ١٤٤ والمسالك: ١١: ٢٠٦.
- (١٨) في تناول تلك الرؤية استفاد كلاً من الدكتور محمود إسماعيل في كتابه "إشكالية المنهج في دراسة التاريخ" والدكتور محمود مكي في مقدمة نشرته للمقتبس.
- (١٩) للمزيد عن شخصية سليمان المستعين، راجع، ابن بَسَام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ج ١، تحقيق سالم مصطفى البدي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، ص ٢٢، نقلاً عن ابن حَيَّان، ابن الأَبَر: الحلة السيّراء، ج ٢، ص ٥، ابن عذاري: البيان، ج ٣، ص ٥١، والضَّيِّي: بغية، ص ٣٠.
- (٢٠) ابن بَسَام: الذخيرة (تحقيق البدي) ج ١، ص ٢١.
- (٢١) محمود مكي: مقدمة نشرته لجزء من المقتبس، الشطر الثاني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣ م، ص ١١١-١١٢.
- (٢٢) يقصد بالبربر الجماعات التي أقامت منذ أقطاب بعيدة في الشمال الأفريقي من برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً وينسب السلاوي كلمة بربر إلى بر بن قيس بينما يرجع ابن خلدون الكلمة إلى كثرة بربرتهم، والبربر بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ويرجعهم البعض الآخر إلى لفظ بربروس وتعني الرفض للحضارة الرومانية. وقد عاش البربر على شكل جماعات وبعضهم عاش داخل المدن واختلطوا بمن احتل البلاد كالرومان والوندال وغيرهم والغالبية عاشت على شكل قبائل وجماعات واتخذت من سهول وجبال المنطقة موطناً وسكناً، راجع، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٢٧٥.
- (٢٣) في ٢٦ شوال ٤٠٣هـ / ٩ مايو ١٠١٣ م.
- (٢٤) فقد قُتل سعيد بن منذر، خطيب المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦ م)، وقتل ابن الفَرَضِي صاحب تاريخ علماء الأندلس، راجع الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم. ط ٤، دار المعارف ١٩٩٣، ص ١٠٣. و:

مما سبق يتضح لنا أن كتب ابن حَيَّان تناولت وبتفصيل دقيق تاريخ المسلمين في الأندلس سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً مما أهله لأن يكون حامل لواء التاريخ في الأندلس.

والخلاصة أن الفكر التاريخي قد ازدهر إبان تلك الحقبة التي شهدت "القرن الذهبي" في تاريخ الفكر الإسلامي^(٨٢) وخير نموذج هو حامل لواء التاريخ في الأندلس "ابن حَيَّان القرطبي".

الهوامش

- (١) ابن حَيَّان: هو حيان بن خلف بن حُسَيْن بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، كنيته أبو مروان، ذكر ابن بَشْكُوَال في كتابه الصلة أنه قرأ أسمه وولاه هذا بخطه، ولد في قُرْطُبَة سنة (٣٧٧هـ/ ٩٨٨ م) وتوفي بها يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ (٣٠ أكتوبر سنة ١٠٧٦ م)، وما وصل إلينا من أخباره قليلاً لا يتناسب مع هذه المكانة العالية التي اعترف بها لابن حَيَّان أهل عصره، ولم يترجم لنفسه كما فعل بعض المؤرخين قبله وبعده. أنظر في ابن حَيَّان وترجمته: ابن بَشْكُوَال، الصلة، ج ١، ص ١٥٣، ترجمة رقم ٣٤٥، ابن بَسَام، الذخيرة ٥٧٣/١، الحُمَيْدي، جذوة المقتبس ٢٠٠ رقم ٣٩٧، الضَّيِّي، بغية الملتبس ٢٧٥ رقم ٦٧٩، الزركلي، الأعلام، ٣٢٨/٢، كحالة، معجم المؤلفين، ٨٨/٤. وقد كتب عنه ملشور انطونية رسالة بعنوان
- I b H ayan Córdoba y sa Historia de la España musulmana
- ضمن دفتار إسبانيا، المجلد الرابع، بونس آيرس ١٩٤٦ (ص ٥-٧٢)؛ وغرسيه غومس بحث صغير عنه في مجلة الأندلس (المجلد ١١، ١٩٤٦).
- (٢) محمود إسماعيل: في دراسة التراث. رؤية للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٣.
- (٣) الترقيح: الكسب والمتاجرة.
- (٤) ابن بَسَام: الذخيرة: (تحقيق البدي) ج ٣، ص ٥٥٤-٥٥٥.
- (٥) الفتاء: حادثة السن.
- (٦) ابن بَسَام: الذخيرة (تحقيق البدي) ج ١، ص ٢٩.
- (٧) الحاجب: في أول الأمر كان الحاجب في الدولة الأموية بالأندلس يقوم بالوساطة بين الخليفة ووزرائه، ثم أخذت سلطة الحاجب في الاتساع حتى أصبح أرفع الوزراء شأنًا، وصار يسمى بذی الوزارتين، وصار يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية. ولها ولي الجبابة المنصور بن أبي عامر (الحاجب) أمور الأندلس؛ حجر على الخليفة الأموي الطفل المؤيد هشام الثاني (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م)، واتخذ الزاهرة عاصمة جديدة بناها بدلا من الزهراء، وسيطر حتى على أم الخليفة (صبح) التي كانت تحاول إنقاذ ابنها من هيمنة الحاجب المنصور، ومن الغريب أن المنصور ظل محتفظاً بلقب (الحاجب) رغم استبداده بالسلطة، كما خلفه أبناؤه الذين احتفظوا بلقب (الحاجب) إلى أن سقطت الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ-١٠٠٨م بعد أن سيطرت على الدولة الأموية والأندلس أكثر من ثلاثة عقود، راجع (حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ٢٥١، شحادة الناطور وآخرون: الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الأردن، ١٩٩٠ م).
- (٨) هو: محمد بن أبي عامر الحاجب، طلب العلم والأدب في قُرْطُبَة، وسمع الحديث، تعلق بوكالة صبح أم الخليفة هشام المؤيد وزاد أمره في الترقى وتغلب على الأندلس، توفي سنة ٣٩٣هـ للمزيد راجع، الحُمَيْدي: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ١٢١، الضَّيِّي: بغية



(٣٧) راجع ، الحَمِيدِي : جذوة ، ص ٢٨ ، والضَّيِّي : بغية ، ص ٣٤ ، ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٤٦ ، ابن الخطيب : أعمال ، ص ١٣٨ . (٣٨) سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ص ٣٦٣ .

(٣٩) ونوجز المسألة فيما يلي : قُرُطْبَة : يحكمها بنو جَهْوَر (٤٢٣ هـ - ٤٦٠ هـ) ، إشبيلية : بنو عباد (٤١٤ - ٤٨٤ هـ) ، غُرْنَاطَة : بنو زيري (٤٠٣ - ٤٨٣ هـ) ، طَلَيْطَلَة : بنو ذي النون (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، بَلَنْسِيَة : العامريون ، (٤١٢ - ٤٧٨ هـ) ، سَرَقُسْطَة : بنو هود (٤١٠ - ٥٢٦ هـ) .

(٤٠) الهمل : المتكاسلون المتوانون .

(٤١) ابن بَسَّام : الذخيرة (تحقيق البديري) ج ٣ ، ص ١١٧ .

(٤٢) دوزي : ملوك الطوائف . ترجمة كامل كيلاني ، ط ١ ، مكتبة عيسى الحلبي ١٩٣٣ ، ص ١٠ ، ١١ ، وينتمي ابن جَهْوَر إلى بيت من أعرق بيوتات الموالى الأندلسية وهو أبو الحَزْم بن محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد من أهل بيت ووزراء . وسوف يحكم الدولة جماعة من الوزراء على نظام شبه جمهوري ، راجع : عبد الحميد القَبَّادي : المجلد في تاريخ الأندلس . ط ٢ ، دار القلم ١٩٦٤ ، ص ١٤٠ . وللمزيد ، راجع : ابن الأَثَّار : الحُلَّة السَّيْرَاء ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، والضَّيِّي : بغية ، ص ٥٤ ، ابن بَشْكُوَال : الصلة ، ص ١٣١ ، وخالد الصوفي : جمهورية بني جَهْوَر ، دمشق ١٩٥٩ ، ص ٤٦ .

(٤٣) راجع ، ابن بَسَّام : الذخيرة (تحقيق البديري) ج ١ ، ص ٣٧٤ حيث يقول "فعبج ذوو التحصيل للذي أراه الله في صلاح الناس من القوة ، ولما تقتدل حال ، أو يهلك عدو ، أو تقو جباية ، وأمر الله تعالى بين الكاف والنون " .

(٤٤) راجع ، محمود إسماعيل : إشكالية المنهج ، ص ٣٨ .

(٤٥) Miguel An Palacios : " El c6dice inexplorado del cordob6 Ibn Ham. Al-Andalus, 1934, 1, p, ٥١ . 2 (1934) p.40

(٤٦) الزهراء Medina Zhra مهدود تأنيث الأ زهر وهولأبيض المشرق والمؤنثة زهراء والأزهر النبر ومنه سمي القمر الأزهر ، تقع شمال غرب مدينة قُرُطْبَة ، وعلى بعد حوالي ستة أميال ، وقد شرع الخليفة عبد الرحمن الناصر في بنائها في شهر المحرم سنة ٣٢٥ هـ ؛ حيث عهد إلى ابنه الحكم بالإشراف على البناء ، وقد استمر البناء إلى عهد الحكم ، لكن الزهراء لم تعمر طويلاً ؛ حيث إنه لما تغلب المنصور ابن أبي عامر على السلطة نقل قاعدة الحكم منها إلى الزاهرة وقد قام البربر بتخريبها أثناء الفتنة البربرية . (ابن غالب : فرحة الأنفس ص ٣١ - ٣٤ ، الجَمِّيَرِي : الروض المعطار ص ٢٨ - ٣٢ ، المقرئ : نفح الطيب ج ٢ ص ٦٥ - ٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ص ٤٠٧ - ٤١١) .

(٤٧) ابن بَسَّام : الذخيرة (تحقيق البديري) ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٤٨) أحمد بدر : تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري ، دمشق : [د.ن] ١٩٧٤ م ، ص ٢٤٢ .

(٤٩) بَطَلَيْوُس Badajoz فتحتين وسكون اللام وباء مضمومة ومهمله ، مدينة أندلسية من إقليم مَارِ دَة ، بينهما أربعون ميلاً ، بناها الأمير عبد الله على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي وهي تقع غربي قُرُطْبَة ، راجع ، ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج ١ ، ص ٤٤٧ ، أبو بكر الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ٨٨ .

بَطَلَيْوُس : (Bada luz) تقع على نهر وادي يانه شمال شرق مدينة إشبيلية على بعد ١٨٥ ميلاً ، بنيت على يد الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقي عام ٢٦١ هـ . (البكري : المسالك والممالك ج ٢ ص ٩٠٦ ، :

Joseph McCabe : The Splendour of Moorish Spain London 19P. 12

(٢٥) حيث توالى على الحُكْم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود ، هم الناصر والقاسم والمعتلي ، وثلاثة من بني أمية ، هم المرتضى والمستظهر والمُسْتَكْفِي .

(٢٦) كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخرز بين القسطنطينية وبلاد البلغار ثم اكتسب اللفظ مدلولاً خاصاً في أسبانيا الإسلامية فصار يطلق أولاً على أسرى الحرب الذين كانوا يقعون في أيدي الجرمان ويبيعون للمسلمين في شبه الجزيرة وكان لفظ الصقلي ينسحب في عصر الرحالة ابن حوقل في القرن العاشر على الرقيق الذين من أصل أجنبي سواء في ذلك من كانوا من بلاد أوروبا أو من أسبانيا ذاتها وكانوا ينخرطون في سلك الجندية أو يتخذون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخصصونهم وكان لتجار اليهود على خد تعبیر المستشرق الهولندي دوزي معامل للخصى أهمها معمل فردن في فرنسا فكانوا بعد خصيمهم يجلبون إلى الأندلس ويبيعون فيها وينشئون تنشئة خاصة فيتعلمون العربية وفنون الفروسية ويتأدبون بأداب المجتمع الأندلسي . وازداد عددهم زيادة كبيرة بحيث بلغوا في عهد الناصر لدين الله بقرطبة ١٣٧٥٠ وفكت رقاب كثير منهم وسمعت منزلهم في المجتمع فاثروا وملكوا الأراضي واتخذوا الحشم والعبيد . ونبغت طائفة منهم في العلم والأدب فكان منهم الشعراء والكتاب . وعظم شأنهم في أيام الناصر فتولوا المناصب الهامة وقيادة الجيوش ولم يتردد الناصر في أن يعهد إلى نجدة الصقلي بقيادة الجيش الذي وجهه إلى ملك ليون في سنة ٣٢٧ . واستنكر منهم الحكم المستنصر فاشتدت شوكتهم وكان لفائق وجُودُ دور هام في عهده وفي عهد ابنه هشام . راجع ، ياقوت : معجم البلدان مادة (صقالبة) ، المقرئ : نفح الطيب ٨٨ / ١ ، ٩٢ ، ٥٧ / ٢ ، تكملة الصلة ابن الأَثَّار طبعة كوديرا رقم ٨٩ .

(٢٧) محمود مكي : مقدمة ، الشطر الثاني ، نفسه ، ص ١١٤ .

(٢٨) عبادة كحيلة : القطوف الدواني في التاريخ الإسباني ، القاهرة ١٩٩٨ م ، ص ١٠٩ .

(٢٩) في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ .

(٣٠) الحَمِيدِي : جذوة ، ص ٢٧ ، والضَّيِّي : بغية ، ص ٣٤ ، المراكشي : المعجب ، ص ٥٧ ، ابن حزم : نَقَطُ العروس ، ص ٥٦ ، وعنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ .

(٣١) ابن بَسَّام : الذخيرة (تحقيق البديري) ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٣٢) محمود إسماعيل : سوسولوجيا ، مرجع سابق ، ص ٥٣٤ .

(٣٣) محمود إسماعيل : إشكالية المنهج ، ص ١٦ .

(٣٤) للمزيد راجع : المقتبس (انطونيا) ، ص ٦٧ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣٥) بنو حمود : من ملوك الطوائف في الأندلس ، وقد سُمِّيَتْ على اسم مؤسسها حمود ، من نسل إدريس بن عبد الله ، أي أنهم من الأدارسة . بيد أنه بالرغم من هذه النسبة العلوية ، إلا أنهم كانوا ينتمون في الواقع من حيث النشأة والعصبة والمصير ، إلى البربر ، وتوالى على الحُكْم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود ، هم الناصر والقاسم والمعتلي ، وثلاثة من بني أمية ، هم المرتضى والمستظهر والمُسْتَكْفِي ، وتداخلت ولايات هؤلاء الخلفاء ، راجع ، ابن بَسَّام ، تحقيق سالم البديري ، ج ١ ، ص ٦٠ ، نقلاً عن ابن حيان ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، ص ٤٣ - ٤٤ ، الحميدي : جذوة البقتيس ، ص ٢٢ ، ابن عذاري : البيان ، ج ٣ ، ص ١٢٢ ، عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٣٦) حُسَيْن مؤنس : شيوخ العصر في الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ م ، ص ٨٠ .



- (٦٤) المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٢٢٧.
- (٦٥) راجع، عادل عبد المنعم: النقد الاجتماعي مرجع سابق، ص ٩٥.
- (٦٦) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البديري) ج ٣، ص ٣٢٥، والسلة: السرقة الخفية.
- (٦٧) لمزيد من التفاصيل، راجع، محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، ٢٠٠٤.
- (٦٨) نفسه، ص ١٤.
- (٦٩) نفسه، ص ٥٣.
- (٧٠) أطلق على من أسلم من أهل الأندلس لحظة الفتح اسم "المسالمة"، وعلى أبنائهم اسم "المولدون" الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم، مرجع سابق، ص ١٦.
- (٧١) الموالي في الأندلس هي: طبقة تتألف غالبيتها من العبيد الذين أعقبتهم مالكوهم أثناء حياتهم أو بعد موتهم بموجب وصية، ويسمى الشخص المحرر مولى، وكان يظل مرتبطاً بمالكه القديم أو بورثته بما يشبه الرباط العائلي الذي يلزمه بواجبات معينة نظير استفادته بالحماية المعنوية أما الاصطناع فقد كان يوجد في المجتمع الأندلسي، أنظر، ليفي بروفنسال: إسبانيا الإسلامية، ج ١ ص ١٨٨.
- (٧٢) راجع، عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٣.
- (٧٣) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البديري) ج ٤، ص ١٤٦.
- (٧٤) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البديري) ج ١، ص ٣٦٦، نقلا عن ابن حَيَّان.
- (٧٥) راجع، إشكالية المنهج في دراسة التراث، مرجع سابق، ص ٣٩.
- (٧٦) محمود إسماعيل، وآمال محمد حسن: في تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، بدون، ص ١٥٧.
- (٧٧) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج ٣، مطبعة الاستقامة، ط ١، ١٩٤٠، ص ٣٣١.
- (٧٨) الشكعة: الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٨٣، ص ٧١.
- (٧٩) راجع، ابن بَصَّال: كتاب الفلاحة، ص ١١-٣٦.
- (٨٠) لفظة إسبانيا (Hispania) أقدم اسم أطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية، وبعضهم يرده إلى أصل فينيقي معناه "ساحل الأرانب البرية" ثم قيل إن ذلك نسبة إلى اشبان (Sphan) وتحرفت الكلمة إلى أصبهان، ومن صيغ الاسم أيضاً (Hispalia) وعرب إلى إشبيلية. راجع، المقري: نفخ، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، حاشية رقم ٢، ج ١، ص ١٣٤.
- (٨١) عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٤٠.
- (٨٢) نفسه، ص ١٤.

- ياقوت: معجم، ج ١، ص ٤٤٧)، سحر عبدالعزيز سالم: تاريخ بَطْلَيْوُس الإسلامية، ج ١، ص ١٣٧. ١٤٠.
- (٥٠) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق سالم البديري)، ج ١، ص ٢٣٩، نقلاً عن ابن حَيَّان.
- (٥١) الكُورَة: الإقليم أو الصقع أو البقعة يجتمع فيها قرى ومحال، وتحدث الجغرافي العربي المقدسي: عن التقسيمات الإدارية في الأندلس فقال: إن في الأندلس ثمانين عشرة كورة أورشاق كما في الشرق (راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٣٤، ابن الخطيب، الاحاطه، تحقيق محمد عبدالله عنان ج ١ ص ١٠٩).
- (٥٢) (إلبيرة: Elvira): إلبيرة: الألف فيه ألف قطع وليس بألف وصل فهو بوزن إخرينة وإن شئت بوزن كبريتة وبعضهم يقول بليرة وربما قالوا لبيرة. تقع شرق قُرْطُبَة، بنيت مدينتها في عهد عبد الرحمن الداخل بينها وبين غَرْناطة ستة أميال، وهي كثيرة الأنهار والأشجار والثمار ونزلها جند دمشق، وكانت مدينة إلبيرة قريبة من غَرْناطة، بينهما ستة أميال؛ أما بطرنة فقد عدها ابن سعيد من قرى بَلَنْسِيَة (راجع: ياقوت: معجم، ج ١، ص ٦٤، المقري: نفخ تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، حاشية رقم ٢، ج ١، ص ١٣٤).
- (٥٣) إشبيلية: Sevilla: إشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة م. وتقع مدينة إشبيلية في الأندلس، كانت على جانب من الأهمية أيام الفينيقيين، اتخذها الرومان عاصمة لمقاطعة بيتيكا، وبنو بجوارها مدينة اتاليكا، تتصل بالمحيط الأطلنطي بنهر الوادي الكبير، فتح المسلمون إشبيلية في شعبان ٩٤هـ/ ٧١٣ م بقيادة موسى بن نصير بعد حصار دام شهر، وأقام عليها عيسى بن عبد الله الطويل وهو أول ولايتها من المسلمين، راجع: ياقوت: معجم، ج ١، ص ١٩٥.
- (٥٤) بَاجَة: (Beja) في البرتغال وتقع على بعد ١٤٠ كيلومتراً جنوب شرقي الاشبونة وكانت تضم كورة واسعة. وقد عاشت مدينة باجة التقلبات العديدة التي طرأت على المنطقة في العصور الوسطى. وقد تَلَفَّها بنو عباد والمرابطون والمتمرد ابن قسي والموحدون وابن هود وابن محفوط لتنتهي في العام ١٢٣٨ على الألسان سباني راجع: ياقوت: معجم، ج ١، ص ٣١٤.
- (٥٥) تَدْمِير Tudmir: بالضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراء: من كور الأندلس، سميت باسم ملكها تَدْمِير وتقع شرقي قُرْطُبَة. (راجع: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٥، ص ١٦).
- (٥٦) للمزيد راجع، محمود إسماعيل: سوسولوجيا، مرجع سابق، وشريف م، م (دراسات في الحضارة الإسلامية) ترجمة أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، القاهرة ١٩٦٦. وطفلاح خير الله (حضارة العرب في الأندلس) دار الحرية بغداد ١٩٧٧.
- (٥٧) ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي. تحقيق: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١ م، ج ٣/ ص ١٧٤.
- (٥٨) البيان المغرب: ج ٣، ص ١٦٢، الذخيرة: (تحقيق البديري) ج ٣، ص ٩.
- (٥٩) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البديري) ج ٣، ص ١١٧.
- (٦٠) محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، ط ١، منشورات الزمن، المغرب ٢٠٠٨ م، ص ٧٠.
- (٦١) ابن حَيَّان: المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ١٣٧.
- (٦٢) ابن حَيَّان: المقتبس (تحقيق أنطونية)، ص ٥٢.
- (٦٣) عادل يحيى عبد المنعم: النقد الاجتماعي عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ص ٧٩.

صاحب الدراسة في سطور:

حاصل علي جائزة الدكتور عبد الحميد العبادي من الجمعية التاريخية؛ تم تكريمه من الدولة في عيد العلم أعوام ١٩٩٦-٢٠٠٤-٢٠٠٥؛ مقرر سمينار التاريخ الإسلامي والوسيط بكلية التربية-جامعة عين شمس؛ مشرف تنفيذي لمشروع تطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس بجامعة عين شمس؛ عضو لجنة توصيف المقررات والبرامج التعليمية بجامعة عين شمس.

